

الرثاء والفخر في الشعر الشعبي الجزائري- تمثيلات وجدانية وجمالية- Elegy and pride in Algerian folk poetry - emotional and aesthetic representations

*- د. حسين مهبوبي

*- جامعة زيان عاشور-الجلفة

* Mihoubihocine93@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الإرسال: 2025/09/18

الملخص:

تناولت هذه الدراسة تأصيل المفاهيم، من خلال تحديد الخصائص العامة للشعر الشعبي، وتمييز موضوعي الرثاء والفخر، ثم عرض نماذج شعرية مختارة تُبرز الأبعاد الوجدانية العميقة والصور الفنية المتنوعة التي يتميز بها هذان اللونان من الشعر. كما نقف عند البنية الشعورية لكل منهما، من خلال دراسة الانفعالات المصاحبة لنص الرثاء (كالحنن، والانكسار)، والانفعالات المصاحبة لنص الفخر (كالاعتزاز، والتحدي، والمباهاة). وبينت الدراسة أنَّ الشعر الشعبي الجزائري استطاع أن يُجسد الرثاء بأساليب نابغة من البيئة المحلية، مستخدماً رموزاً قريبة من وجدان المتلقي، بينما اعتمد الفخر على تصوير البطولة والكرم والنسب والارتباط بالأرض، مبرزاً حضور الفارس، والقبيلة، والمجاهد في خطاب حماسي ومشحون بالعاطفة. الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي الجزائري، الرثاء، الفخر، التمثيلات الوجدانية.

Abstract:

This study explored the foundations of these concepts by identifying the general characteristics of folk poetry, distinguishing between the themes of elegy and pride, and then presenting selected poetic examples that highlight the profound emotional dimensions and diverse artistic imagery characteristic of these two genres. It also examined the emotional structure of each, studying the emotions associated with elegiac texts (such as grief, longing, and defeat) and those associated with pride texts (such as pride, defiance, and boasting). The study demonstrated that Algerian folk poetry successfully embodied elegy using styles rooted in the local environment, employing symbols close to the audience's sensibilities, while pride relied on portraying heroism, generosity, lineage, and connection to the land, emphasizing the presence of the knight, the tribe, and the freedom fighter in an impassioned and emotionally charged discourse.

Keywords: Algerian folk poetry, elegies, pride, and emotional representations.

مدخل:

يمتاز الأدب الجزائري بالتعددية والتنوع في أشكاله التعبيرية (عربية فصحي ولغات أجنبية ولهجات محلية وألغاز وأمثال وسير وشعر ملحون... الخ)، وهذه الأشكال والأجناس لها ارتباط عضوي بهموم وآمال الإنسان في حركيته، وللعمامة أدب شعبي تتمثل فيه عواطف الطبقة الشعبية وآلامها وآمالها مثلها مثل اللغة الرسمية للأدب.

فالأديب الشعبي هو صوت أطراف الشعب والقادر على تحويل الجراح والنكبات إلى نصر، إنه يرسم النصر بأمانته كما يعبر عن الهزيمة بألم وأسى.

1/ مفهوم الادب الشعبي:

تعددت وجهات الباحثين في تحديد مفهوم الأدب الشعبي، نورد بعضها، فلقد عرفه عبد الحميد يونس بقوله: «الأدب الشعبي هو القول الذي يعبر به الشعب عن مشاعره وأحاسيسه أفرادا وجماعات، فهو من الشعب وإلى الشعب يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجداني الذي يلائمه كل الملائمة وليس ينفعه غيره وهو يمتاز عن سواه بسمات نجدها في سائر أنواع القول وأقسامه التي تناقلتها الأجيال وتعتز بها المواطن والشعوب»¹.

هذا المفهوم يقف عند ميزات الأدب الشعبي دون غيره من الآداب، وذلك كونه قادرا على التعبير عن حاجات الفرد والجماعات، ولذا كان مدعاة لتفاعلهم مع نصوصه وتملكهم شغف تناقله وحفظه عبر الأجيال.

فالأدب الشعبي أدب متوارث جيلا بعد جيل مشافهة وحفظا في الصدور قبل أن خطه على الورق، وحدد له البعض أربع خصائص وهي كونه: مجهول المؤلف، متوارث جيلا عن جيل، عامي اللغة، يتناقل بالرواية الشفوية.

بينما يرى آخرون أنه تعبير عن مشاعر الشعب في لغة عامية أو فصحي، ويتجلى ذلك في تعريف محمد المرزوقي بقوله: «ذلك الأدب الذي استعار له الشرقيون من أوروبا كلمة (فلكلور) على خلاف في صحة إطلاق الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبي بالضبط»².

ولا يمكن إغفال الرأي الذي قال به سلامة موسى في النص الشعبي على أنه «إحساس إحساس الشعب»³.

إذن، فالأدب الشعبي هو أدب نابع من الشعب يصور حياته و يتفاعل معه بصورة عفوية ويمثل الجماعة أكثر من الفرد، فن لكل ما للفن من إمكانات لغوية وتصويرية، وهو في نفس الوقت فن يوجه الفرد الذي يعيش في اطار الجماعة نحو وحدته وتماسكها.⁴

ويتضمن الأدب الشعبي أشكالاً من التعبير منها :

- السيرة الشعبية والأساطير والملاحم، والحكايات الشعبية بأنواعها.
- الأغاني الشعبية بأنواعها والمواويل بأنواعها والمدائح النبوية والابتهالات الدينية والأمثال الشعبية والتعابير والأقوال المأثورة والنداءات (نداءات الباعة المتجولين) والألغاز والنكت والنوادر والقصص والفكاهة.
- الأعمال الدرامية والمسرحية الشعبية ... الخ⁵.

2/ مفهوم الشعر الشعبي:

يعد الشعر الشعبي فرعاً من الأدب الشعبي ، وهو معبر عن حياة الشعب بما فيها من بساطة وتعقيد لأنه نابع من أعماقها لا من سطحياتها، ولسان مختلف شرائح المجتمع جاعلاً من اللغة الشعبية سبيلاً لنظمه، والتي وجب أن تكون لغة القوم التي يفهمونها ويتواصلون بها.

والشعر الشعبي الجزائري بمختلف أغراضه مرآة صادقة للمشاعر الجمعية والذاتية على حد سواء، حيث يشكّل الرثاء والفخر جزءاً أصيلاً من بنيته الموضوعية والتعبيرية. إن موضوع الرثاء يعكس الحزن والفقد والانكسار، بينما يُعبّر الفخر عن الاعتزاز بالنفس أو الجماعة أو الوطن. وبين الحالتين تتجلى تمثيلات وجدانية تنبع من عمق التجربة الإنسانية، وصور جمالية تتشكل من التفاعل بين المخيال الشعبي والبيئة الثقافية والتاريخية.

يُمثل الشعر الشعبي الجزائري أحد أهم الروافد الثقافية والأدبية التي تعبر عن وجدان الشعب الجزائري ومكنوناته النفسية والاجتماعية عبر العصور. وقد شكلت قصائد الفخر واحدة من الأغراض الشعرية البارزة في هذا الأدب، حيث تجلت من خلالها قيم الشجاعة والكرامة والمقاومة والاعتزاز بالهوية، خاصة في فترات المحن والكفاح ضد المستعمر.

لقد مثل الشعر الشعبي حاضنة ثقافية وفكرية حوت اللغة والدين والمعتقدات وكل ماله علاقة بالفولكلور، فهو ينهل من جميع هذه العلوم، لكنه لا يتبع منهجاً علمياً محدداً، بل يتقاطع مع كل هذه المعارف ليصل إلى صورة معبرة عن أحاسيس الشعب ومشاعره الناتجة عن بيئته وواقعه الاجتماعي .

يمكن تعريف الشعر الشعبي بأنه ذلك النوع من الأدب الذي يعبر به الشعب عن مشاعره وأحاسيسه أفراداً وجماعات، فهو من الشعب وإلى الشعب يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجداني الذي يلائمه كل الملائمة وليس ينفعه غيره. وهو يمتاز عن سواه من الآداب

بسمات نجدها في سائر أنواع القول وأقسامه التي تناقلتها الأجيال وتعتز بها المواطن والشعوب . وهذا التعريف الذي يورده عبدالحميد يونس يكشف السمات التي تميز الأدب الشعبي عن غيره من الآداب كونه قادرا على نقل حاجات الفرد والجماعات حتى إنه ليعتبر الغذاء الرئيسي المتوافق مع أفكارهم، وهو ما جعلهم يتفاعلون مع نصوصه ومن ثم نقله وتناقله وحفظه عبر الأجيال.

من أهم الخصائص المميزة للشعر الشعبي كونه أدبًا متوارثًا جيلًا بعد جيل بالمشافهة والحفظ في الصدور قبل أن ينتقل اليوم إلى السطور. وقد حدد له البعض أربع خصائص رئيسية هي: كونه مجهول المؤلف في كثير من الأحيان، ومتوارثًا جيلًا عن جيل، وعامي اللغة، ومتناقلًا بالرواية الشفوية . بينما يذهب آخرون إلى أنه تعبير عن مشاعر الشعب في لغة عامية أو فصحي، وقد عرفه محمد المرزوقي بأنه "ذلك الأدب الذي استعار له الشرقي من أوروبا كلمة (فلكلور) على خلاف في صحة إطلاق الكلمة على ما نسميه بالأدب الشعبي بالضبط".

الشعر الشعبي شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي فهو إبداع شعبي شفوي ونمط من الأنماط الثقافية الشعبية يتضمن الأدب الشعبي الشعر والغناء والأحادي والمعتقدات الخرافية والتقاليد وغيرها من عناصر التراث، حتى أصبح مفهوم الأدب الشعبي يضم مجموعة من الفنون القولية، مثل الأمثال والأغاني و النكت والحكايات الشعبية ولعل على رأس هذه الفنون الشعر الشعبي.⁶

لاسيما أن الأدب الشعبي هو: الأدب الشائع في الطبقات التي تسمى عادة بشعب أو عامة، وله مميزات خاصة به في بعض الأحيان ومشابهات مع الأدب الكلاسيكي، ويستعمل اللهجة المحلية أو اللغة شبه فصيحة سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية.⁷

فالشعر الشعبي هو التعبير الشعري الشفوي غير الملزم بالفصحى، ويُعد من أبرز وسائل نقل الثقافة والذاكرة الجماعية

3/ علاقة الشعر الشعبي بالشعر الفصيح

يذهب بعض الدارسين إلى أن الأدب الشعبي هو الأدب المعبر عن الذاتية (الشعب)، والمشكل الذي يطرح نفسه هو كيف يعبر الأدب الشعبي تعبيراً عن ذاتية الشعب؟ فكلمة - ذاتية- لها مدلول عام، لا تميز الأدب الرسمي عن الأدب الشعبي، كما أن هذا الأخير يستهدف تقدم الشعوب وخدمة مصالحها على الرغم من أنها خاصية تتجلى بصورة أوضح في الأدب

الرسمي منها في الشعبي، وليس في مقدوره أن يرقى إلى الصورة التي يمتلكها الأدب الرسمي في رؤيته الفكرية وثقافته الحضارية رغم مواكبته للتطور واستندوا في توضيحهم لهذه العلاقة بقولهم «فيه أدب الفصحى وأدب العامية يقتضي الخيار في استخدام اللغة التي يريدها الأديب الرسمي يضاف إلى تجاهل دور اللغة الفوارق الثقافية بين الأديب الرسمي والأديب الشعبي، بحيث لا يبقى مبرر للقول بوجود أدب شعبي وأدب رسمي»⁸.

ويختلف الشعر الشعبي عن الشعر الفصيح من حيث اللغة والأسلوب وطريقة التلقي، لكنه يلتقي معه في الأهداف والمضامين والمعاني السامية. فالأديب الشعبي يتميز بالواقعية والصدق في التعبير بطريقة أفضل من الأديب المدرسي باعتباره أقرب إلى الطبقات الشعبية، والصدق بآلامها وهمومها، إضافة إلى ذلك يبرز الاختلاف في أسلوبه وبلاغته عن أسلوب الأديب الرسمي، وفي هذا الصدد يقول عبد الله الركيبي في كتابه (الشعر الديني الجزائري): «ومع هذا نجد أرضية يلتقي فيها الشاعران الرسمي والشعبي، ومن يتلقى شعرهما أميا أو متعلما، وهذه الأرضية ما يمكن أن يطلق عليها الإطار الحضاري الواحد الذي يضم هؤلاء جميعا حيث يتقاربون في النظرة وفي الإحساس والتفكير والذوق»⁹.

ويمكن القول: إن الشعر الشعبي يعتبر امتدادا للشعر الرسمي حيث إن الشاعر الشعبي استطاع أن يقلد ويسير على نمط القدامى من حيث الأغراض من مدح ورثاء وغزل وغيرها وتباين وجهات النظر في تناولها، حسب الظروف الخارجية أو الداخلية وهذا أحمد أمين يدلي برأيه في هذه النقطة فيقول: «من هنا استطاع الشاعر الشعبي أن يقلد كل أغراض الشعر مدحا ورثاء وهجاء وحماسة مع اختلاف في الرؤيا وتباين في الأسلوب واختلاف التصوير»¹⁰.

*الفروق الأساسية بين الشعر الشعبي والشعر الفصيح:

الوجه المقارن	الشعر الشعبي	الشعر الفصيح
اللغة	اللغة العامية	اللغة الفصحى
طريقة النقل	الرواية الشفوية	غالبًا التدوين والكتب
الجمهور المستهدف	عامة الشعب	النخبة المثقفة
الموضوعات	الهموم اليومية والتراث	القضايا الفكرية والأدبية
التقيد بالقواعد	مرن وغير ملتزم بالضرورة	ملتزم بالوزن والقافية

4/أعلام الشعر الشعبي في الجزائر

يزخر الأدب الشعبي الجزائري بمجموعة كبيرة من شعراء الشعبي نذكر بعضا منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1/4- الشاعر سيدي لخضر بن خلوف: قضى الشاعر لخضر بن خلوف أيام صباه في منطقة مزغان، وكانت المنطقة هذه مصدر عيشه، ومأوى عائلته وأهله، ويذكر في قصيدة له أنه كان يحب هذه المنطقة وقد أمضى أحلى أيام شبابه بها قائلا:

حسراه يا الدنيا كاللي ما كانت عديت شبوب صغري في مزغان

سيغي مجرده وأنا نضرب في الاعداء والناس ضاحه من زجري بالخوف¹¹

ولما بلغ أربعين سنة ودع حياة الشباب، واستقبل حياة أخرى كلها زهد وورع وتصوف ومدح للرسول ﷺ. وغادر منطقة مزغان - قرية صباه وشبابه - ليستقر في المكان الذي يحمل الآن اسمه غير بعيد عن مزغان، وهناك انقطع للعبادة والذكر والبكاء على ذنوبه والتحسر على شهوات الدنيا وملذات الحياة ووسواس النفس والهوى والشيطان، ولقد قدم من مزغان إلى المكان الذي يسمى الآن باسمه، وليس معه شيء من مال أو غيره، سوى معرفة الفقه والعلم وكل ماله صلة بالثقافة الدينية والأدب والتاريخ.

تعتبر قصيدة «ابقاوا بالسلامة» سيرة ذاتية مختصرة لحياة الشاعر، وربما تكون آخر قصيدة قالها الشاعر في حياته، لأنه يودع فيها أبناءه وأهله ويوصيهم خيرا بأنفسهم وبمن حولهم ويجمع أبناءه فيورثهم رزقه وتركته، حتى لا تكون النية سيئة بعد مماته فيتباغضون ويتخاصمون فيما بينهم، وحفاظا على العشرة والمودة بينهم وصونا كذلك لشرف العائلة الشريفة، يقول:

الموت تابعتني والأرض الباردة ابقاوا بالسلامة يا أولاد خلوف

أنت يا محمد اتاهلي في خيمتي أنت كبير داري وأنت مولاهي

وأنت يا أحمد خذ أدي سبحتي بها تفكرني وقت تقراها

وأنت يا بلقاسم عمم بعماتي تضحى لك هيبة لمن يراها

وأنت يا الحبيب ولدي نطفة من الكبد خد شملتني وبرانيس الصوف

اتهلوا في بعضكم لا تشفوا في العدا قوموا جنازتي واعطوا المعروف¹²

2/4 - الشاعر بن كروي¹³: كان عبد الله بن كروي اجتماعيا، محبا للمجالس الأدبية والثقافية التي كانت تجمعها بأصدقائه من الفنانين والشعراء ، كما عرف بميله الشديد إلى مجالس الأُنس التي كان يرتحل من أجلها إلى مختلف المدن وبالإضافة إلى ثقافته الدينية التي أهلتها لأن يكون قاضيا، كثير النظر في كتب التاريخ والأدب، كما أن لغته قريبة من لغة الشعر العربي القديم.

ويعتبر عبد الله بن كروي المعروف باسم "بلكریم"، من رواد الشعر الشعبي في منطقة الأغواط. وقد تميز شعره بالفخر بالانتماء الوطني والديني، والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للجزائر.

ومن أشهر ما قال الشاعر عبد الله بن كروي هذه النتف:

يا مرسولي سر بجوابي وديه

يمكن بيد الظريف وعنالي

ياهاات اخبار الخير لنا كن انبيه

والمراه الى بيننا ورمهالي

سال على محبوب قلبي سال عليه

سال عليها سال شاطنة حالي

قل لها وعلاه محبوبك تنسيه

غيظانه شكيت ما كيش تسالي

قداش ان مرسول لي شقيتيه

كرهوك الحساد بغضه على جالي¹⁴

3/4 - محمد بلخير: تختلف الروايات في شأن مكان وتاريخ ميلاده، وهذا ليس غريبا في منطقة لم تعرف نظام الحالة المدنية آنذاك، إلا أن القاسم المشترك بين المؤرخين هو أن المنطقة التي كانت موطننا لقبيلته هي بلدة الرزيقات، قرب البيض وهم من أولاد داود، من الابيض سيد الشيخ¹⁵

5/الخصائص العامة للشعر الشعبي،

الشعر الشعبي الجزائري تعبير وجداني وجمالي عن الهوية والمجتمع، يتجلى في مختلف أغراضه التي تعكس ثقافة المجتمع الجزائري وتاريخه. يعتمد على أساليب بلاغية متنوعة، وله خصوصية في الوزن والقافية التي تختلف عن الشعر الفصيح، كما أن له أسماء

مختلفة في بينات جزائرية متعددة مثل الدوبيت والزجل والمواليا، مما يجعله فناً مهماً في تشكيل الوجدان والجمال في الجزائر .

*-تعريف التمثلات الوجدانية

تشير التمثلات الوجدانية إلى تلك المشاعر والأحاسيس العميقة التي يعبر عنها الشعراء في نصوصهم، والتي تمثل حالات نفسية ووجدانية متعددة مثل:-الحب والعشق بمستوياته المختلفة-الحزن والكآبة في مواجهة الفقد والفرق-الفرح والابتهاج في مناسبات السرور- الحنين والشوق للأماكن والأشخاص

*-مفهوم التمثلات الروحية

أما التمثلات الروحية فتشير إلى ذلك البعد الغيبي والميتافيزيقي في التجربة الشعرية، والذي يتجلى في:

-التعلق بالله والبحث عن الحقيقة المطلقة -التجارب الصوفية والوجدانية الدينية
-التأمل في الكون والوجود -الرغبة والخشوع أمام عظمة الخالق

1/5 التمثلات الوجدانية والروحية في الشعر الشعبي الجزائري

يُمثل الشعر الشعبي الجزائري مخزوناً ثقافياً وحضارياً غنياً يعكس الوجدان الجمعي للشعب الجزائري بكل تجلياته الروحية والعاطفية. وتكمن أهمية دراسة التمثلات الوجدانية والروحية في هذا الشعر في كونه مرآة عاكسة للعمق الإنساني والروحي للإنسان الجزائري، وصراعه الوجودي بين المادة والروح، والدنيا والآخرة.

لقد شكل البعد الروحي في الشعر الشعبي الجزائري ممثلاً مهماً من مميزات الهوية الثقافية، حيث مزج بين التصوف الإسلامي والموروث الثقافي المحلي، معبراً عن توقد دائم للاتصال بالله والكون، ومتجلياً في صور شعرية عميقة تترجم حالات وجدانية متنوعة بين الشوق والحب والرغبة والخشوع.

إن الشعر الشعبي الجزائري بتمثلاته الوجدانية والروحية يظل كنزاً ثقافياً ثميناً، وجسراً بين الماضي والحاضر، ومعبراً عن روح الأمة ووجدانها، مما يستدعي المزيد من الاهتمام والدراسة للحفاظ على هذا الموروث الإنساني الثمين.

التمثلات الوجدانية:

- مظهر للهوية الوطنية: يعتبر الشعر الشعبي مرآة تعكس الهوية الجزائرية المشتركة، ويساهم في ترسيخها لدى الجماعة والفرد .

- لسان الشعب وشاهد على التاريخ: إنه صوت العوام وشاهد حي على الأحداث التاريخية والتجارب الإنسانية في المجتمع الجزائري .
 - نقل الحماس والوعي: لعب دورًا هامًا في نقل الحماس والتوعية خلال الثورة التحريرية، حيث بث الروح الوطنية في نفوس الأهالي .
- التمثيلات الجمالية:**
- الأساليب البلاغية: يستخدم الشاعر الشعبي أساليب بلاغية متنوعة كالجناس والطباق والاستعارة والتورية لتشكيل صور فنية قوية.
 - الوزن والقافية: يمتلك الشعر الشعبي أوزاناً وقافية خاصة به تختلف عن بحور الشعر الفصيح التقليدي .
 - تعدد التسميات: تتعدد تسمياته وتختلف من منطقة لأخرى في الجزائر، فمنها الدوبيت، الزجل، المواليا، الكان كان، الحماق، الحجازي، القوما، والمزمن .

2/5 الجذور التاريخية للبعد الروحي في الشعر الشعبي الجزائري

التأثيرات الإسلامية المبكرة

تعود الجذور الروحية في الشعر الشعبي الجزائري إلى الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، حيث تأثر الشعراء بالمفاهيم الإسلامية في:- التوحيد وعبادة الله الواحد-التصوف وطرقه المختلفة-الأدعية والابتهالات الدينية-المناجاة والخلوات الروحية

تأثير الزوايا والطرق الصوفية

شكلت الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر مراكز إشعاع روحي وأدبي، حيث:-انتشرت الموشحات والأنشيد الدينية-تبنى الشعراء مفاهيم الفناء والبقاء

-تناقل الشعراء مصطلحات صوفية مثل الذوق والحال والمقام

تجليات الوجدان الروحي في الشعر الشعبي

الحب الإلهي والعشق الصوفي : يمثل الحب الإلهي واحدًا من أبرز التجليات الروحية في الشعر الشعبي الجزائري، حيث : يتحول الشوق من المحبوب الأرضي إلى المحبوب السماوي،

وتمتزج لغة العشق التقليدية بالرموز الصوفية، ويصف الشعراء حالات الوجد والسماع في الذكر، ويعبرون عن لوعة الفراق وحرارة الشوق للقاء الله.

نموذج من الشعر الصوفي الشعبي:

يا من هو بقلبيب رمش العين خفق

أشكوا ليك حالي يا من بيه أعتق

حبيلك يارب العالمين ما انفك

وشوقي لوجهك الكريم في قلبي احترق

أسريت في ملكوتك العظيم أناجيك

وأغنيت في بحر وجودك أرتوي منك

كل الكائنات تشهد بتوحيديك

والكون كله يسجد لحضرة ملكك

المناجاة والابتهال

تعتبر قصائد المناجاة من أكثر الأشعار تعبيراً عن العمق الروحي، حيث:

- يخاطب الشاعر ربه بلغة حميمة مباشرة

- يعترف بالتقصير والذنوب ويطلب المغفرة

- يتضرع بالدعاء لتفريج الهموم والأحزان

- يسبح بحمد الله ويشكره على النعم

وكذا التضرع والدعاء، حيث يمتلئ الشعر الشعبي الجزائري بأشعار التضرع والدعاء التي

تعكس التجليات الوجدانية في الشعر الشعبي.

*- الرموز والصور في التعبير عن التجارب الوجدانية

الرموز المستمدة من البيئة المحلية

يستخدم الشعراء رموزاً محلية للتعبير عن المشاعر:

- الطير دليل الشوق والحنين

- النجوم دليل الهداية والضياء

- البحر دليل العمق والاضطراب الوجداني

- النار دليل الشوق والوجد

*-الصور المستوحاة من التراث الديني

يستمد الشعراء صورهم البيانية من:

-القرآن الكريم والحديث النبوي-السيرة النبوية وسير الصالحين-القصص الديني والأمثال
-الطقوس والشعائر الإسلامية.

يمثل كل من الرثاء والفخر في الشعر الشعبي الجزائري تعبيرات عميقة عن المشاعر الإنسانية والوجدانية والجمالية، حيث يعبر الرثاء عن الحزن والتفجع على فقد عزيز والتغني بخصاله، بينما يعكس الفخر تمجيداً للذات والقيم الأصيلة والشجاعة، ويشكلان معاً ذاكرة حية للأحداث والمشاعر عبر الزمن.

6/ مفهوم الرثاء وخصائصه في الأدب الشعبي

فيما يخص الرثاء فيعتبر أحد أهم أغراض الشعر، بل أصدق ضروب الأدب العربي ولأهمية هذا النوع الشعري كان لا بد من البحث في معناه وتحديد مفهومه، والذي جاء كما يلي:

- لغة:

اختلف أهل اللغة في اشتقاق كلمة الرثاء لغة، فمنهم من عدها من (رثا) المهموز وانه جاء بمعنى الاختلاط والضعف، "الرثيئة تفتأ الغضب" وهي اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر، ومنها: ارتثأ عليه امرهم إذا اختلط، رث: ثوب رث، وحبل رث، وقد رث وأرث وفيه رثاثة، ونقلوا رثة البيت وهي أسقاطه واشترى رثة فربح فيها، ومن المجاز ارتث فلان، حمل من المعركة مثخنا ضعيفا، ومن قولهم هم رثة الناس لضعفائهم، شبهوا برثة المتاع¹⁶. ومنه الرثية بالفتح: وجع في الركبتين والمفاصل، ورثيت الميت مرثية، ورثونه أيضا، إذ بكيته، وعددت محاسنه، وكذلك اذا نظمت فيه شعرا، ورثى له، أين رق له¹⁷.

اصطلاحا:

عرفته بشرى الخطيب بأنه: "التفجع على الميت وإظهار الحزن عليه وتصوير الخسارة التي نجمت عن فقد، وتعداد فضائله وصفاته الحسنة، وتحمل الأشعار التي تضمنته -عادة- فيضا من العاطفة ودعوى إلى التأمل في حقيقة الحياة وان تجاوز الأمر إلى الصراخ والنواح"¹⁸.

وعليه "فالرثاء" هو تجربة الحزن والأسى و التفجع في صورة الفاظ و عبارات محرقة تعبر عن معاناة صاحبها، لفقدان عزيز عليه، فينظم المرثية معددا محاسن الفقيد ومبرزاً فضائله،

فتصدع القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة، لتعبر عن صدق الكلمات، النابعة من اشتعال الوجدان.

الرثاء في الشعر الشعبي هو استحضار الحزن والأسى نتيجة فقدان الأحبة أو الأبطال أو القيم، وغالبًا ما يتخذ بعدًا شخصيًا أو جماعيًا¹⁹

يُمثل الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري واحدًا من الأجناس الأدبية الأصيلة التي تعكس الوجدان الجمعي للشعب الجزائري، وتكشف عن التجارب الإنسانية العميقة في مواجهة الفقد والفرق. وقد شكل الرثاء على مر العصور وسيلة تعبيرية مهمة للتعبير عن المشاعر الجياشة والأحاسيس المكنونة تجاه الفقدان، سواء كان ذلك فقدان الأعزاء من الأشخاص، أو فقدان الأوطان والحريات في فترات المحن والكفاح.

تكمن أهمية دراسة الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري في كونه مرآة عاكسة للتركيب الاجتماعية والقيم الأخلاقية والثقافية السائدة في المجتمع الجزائري. كما يبرز الأهمية في كونه وثيقة تاريخية تسجل ردود أفعال المجتمع الجزائري تجاه الأحداث المصيرية الكبرى، خاصة خلال فترات الكفاح ضد الاستعمار وما بعده.

الرثاء هو فن أدبي يعبر من خلاله الشاعر عن حزنه وأساه لفقدان عزيز أو انتهاء حالة جميلة، وهو من الأغراض الشعرية القديمة التي عرفها الأدب العربي منذ العصر الجاهلي. في السياق الجزائري، يأخذ الرثاء بعدًا خاصًا يتماشى مع الطابع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري، حيث يمتزج البعد الديني مع البعد الوطني والبعد الإنساني في صياغة قصائد الرثاء.

*-الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري:

الرثاء كخطاب وجداني: تُعبر نصوص الرثاء عن مشاعر الحزن والحنين والفقدان، وغالبًا ما ترتبط بالموت أو النفي أو الانهيارات السياسية والاجتماعية. وتُبرز فيها صور بلاغية تعتمد على الاستعارة والمبالغة²⁰

الرثاء السياسي والوطني: برز الرثاء السياسي في فترات الاستعمار، حيث رثى الشعراء الشهداء أو القادة، مما حوّل النص الرثائي إلى سجل توثيقي للمأساة الوطنية²¹.

البنية الإيقاعية واللغوية في الرثاء: يمتاز الرثاء الشعبي بإيقاع حزين وبطء في الأداء، ولغة بسيطة لكنها عميقة التأثير، وغالبًا ما يُستخدم "النوح" أو "العلية" في أدائه.

الأبعاد الوجدانية للرثاء:

- تنفيس عن الأحزان: يلجأ إليه الشاعر للتعبير عن حزنه وألمه الشديد بعد فقدان شخص عزيز لديه.
- تعداد الخصال: يتضمن الرثاء تعداداً لصفات الميت الحسنة مثل الكرم والشجاعة والعقل والكرم.
- التعازي والتأسي: يهدف إلى مواساة أهل الفقيد وذويه من خلال تذكّر مناقب الفقيد.

الأبعاد الجمالية:

- عاطفة متأججة: يظهر الرثاء عاطفة قوية ومتأججة لدى الشاعر تعكس صدق مشاعره.
- فصاحة وشاعرية: برغم أنه شعر شعبي، إلا أن الشعراء يتفننون في نظمه لإبراز فصاحتهم وقدرتهم الشعرية.

*- التمثلات الوجدانية والجمالية

يظهر في كلا النمطين (الرثاء والفخر) تجلٍ واضح للحسن الوجداني؛ إذ يُعبر الرثاء عن الانكسار الداخلي، في حين يُجسد الفخر حالة من الاعتداد والسمو. وتُبرز الصور الجمالية توظيف الشعراء للرموز المرتبطة بالمكان (القرية، الجبل)، أو الزمان (الليلة، الشتاء)، أو الأشخاص (الأم، الشهيد، الجد).

هذه الصور لا تنفصل عن البيئة الثقافية التي أنتجتها، فهي تشكّل أنساقاً ثقافية تكشف عن تفاعل الذات الجمعية مع محيطها التاريخي والاجتماعي²²

*- خصائص الرثاء في الشعر الشعبي

يتميز الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري بعدة خصائص، منها: -الصدق والعفوية في نقل المشاعر -حضور الصور المستوحاة من البيئة الجزائرية - طغيان القيم الدينية في صياغة مشاعر الرثاء

*- التطور التاريخي للرثاء في الشعر الشعبي الجزائري

-الرثاء في فترة ما قبل الاستعمار

-في الفترة العثمانية، تميز الرثاء بالتركيز على رثاء الشخصيات البارزة والوجهاء، مع التأكيد على قيم الكرم والشجاعة والمروءة. وكان الرثاء يعكس النظرة الدينية للحياة والموت، مع التركيز على الإيمان بقضاء الله وقدره.

-الثناء خلال فترة الاستعمار الفرنسي

شكلت فترة الاستعمار الفرنسي (1830-1962) منعطفًا مهمًا في تطور الرثاء الشعبي الجزائري، حيث تحول من رثاء الأشخاص إلى رثاء الوطن المغتصب والحريات المفقودة. وأصبح الرثاء أداة للمقاومة ووسيلة لإيقاظ المشاعر الوطنية ضد المستعمر.

-الثناء بعد الاستقلال

بعد استقلال الجزائر عام 1962، تطور الرثاء ليركز على رثاء الشهداء وأبطال الثورة، مع التأكيد على تضحياتهم من أجل تحرير الوطن. كما برز رثاء الشخصيات الوطنية البارزة والرموز الثقافية والأدبية.

-أنواع الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري*-الثناء الشخصي والعائلي**

يهتم الرثاء الشخصي برثاء الأقارب والأحباء، مثل رثاء الآباء والأمهات والأبناء والأزواج. ويتميز هذا النوع من الرثاء بـ: التركيز على الصفات الشخصية للمرثي -استحضار الذكريات الجميلة مع الفقيد -التعبير عن الألم النفسي والفراغ الذي تركه الفقيد

الثناء الوطني

يشكل الرثاء الوطني واحدًا من أهم أنواع الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري، خاصة في فترات الكفاح والنضال. ويتضمن: رثاء الشهداء الذين سقطوا في ساحات الوغى -رثاء المدن والقرى التي دمرها الاستعمار

-رثاء الحريات المسلوقة والكرامة المنتهكة***-الخصائص الفنية لشعر الرثاء الشعبي الجزائري:****-الخصائص اللغوية:**

يتميز شعر الرثاء الشعبي الجزائري بعدة خصائص لغوية، منها: -استخدام اللغة العامية بمختلف تنوعاتها الجهوية -الاعتماد على المفردات المحلية ذات الدلالات العاطفية - استخدام المحسنات البيعية بشكل عفوي غير متكلف -توظيف الأمثال والحكم الشعبية المناسبة لسياق الرثاء

-الخصائص الأسلوبية

من الناحية الأسلوبية، يتميز شعر الرثاء بـ-التركيز على عنصر العاطفة والمشاعر الجياشة - استخدام الأساليب الإنشائية مثلا لنداء والاستفهام -الاعتماد على التكرار لتأكيد المشاعر وتكثيفها -توظيف الصور الشعرية المستمدة من البيئة المحلية

-البناء الفني

من حيث البناء الفني، يتسم شعر الرثاء بـ-التنوع في الأوزان والقوافي المناسبة لطبيعة الرثاء -التركيب السلس للجمل والعبارات -التدرج في عرض المشاعر من الحزن إلى التسليم بالقضاء -الخاتمة الإيمانية التي تنتهي بالرضا بقدر الله كما تتجلى البنية الشعرية ، من خلال دراسة الانفعالات المصاحبة لنص الرثاء (كالحزن، والحنين، والانكسار)،

*-نماذج من شعر الرثاء الشعبي الجزائري

-رثاء الأهل والأقارب :

رثاء الأبناء للآباء: الشاعر عبد الغفار في رثاء والده قصيدة عنوانها "وفاة الوالد في غياب ولده".

كنت مسافر بعد غيبة أنا وليت ومعول بابا نشوفو بعياني

امع الباب أحبابي قلبي هاني جيت سكتو جملة حد ما با يلقاني

ما هو عمدي هكذا تدخل للبيت بابا ضاري هو يتلاقاني

والعهد اللي فات تدخل بتزقريت الشا مذبوحة أوتحضر جيراني

امع اللحقة خاوتي عنو سقسيت قالو سامع غير فينا بلعاني

قلت مسافر هكذا في القلب نويت يفرح بيا كي يعود أولقاني

حين اندق الباب بالعجلة فريت والشطنت اعليه لهب نيراني

القيتو ماهوش هو غير شقيت هذا عمي كي سمع بيا جاني²³

..

..

يا ولدي هذه برية كان ابغيت يمن عند المرحوم بها وصافي

أخوتي من ذا الخبر راني جنيت دمر في هذا الخبر حين أصفاني

افتحت الجواب بالعجلة واقريت دمعي مطر غزير حملت ودياني²⁴

...

..

آخر لحظة يابني واش اتمنيت شوفة منك باه يهدى تشطاني
ياولدي في غربتك وعلاه بطيت خافي وحشك جاحدوين أكفاني
الكبدة حرقت مالدومع أنا جفيت ويبس فمي زاد لهوث لساني
أنا مت أوزاد ربي خليت ولدي راجل راه يخلف مكاني
اتهلي ووصاياتي علينا ريت من غيرك لاحد منهو اذكرني
في ختام ابرتي وعليك ارضيت نعت النخلة غارسك في بستاني
قبلت الجواب طبققوا ابكيت حولت النسيان دمعي غطاني
حاولت النسيان بالنوم اتكيت قابلني خيال بابا ناداني
وات فكرت أمعاء بابا واش عدت كان مشاركني أفراحي وأحزاني
ما تحاللو مأكلة غير إلى جيت ما يستطيب نوم قا إلى سماني
يتحير ويضيق لكان اتنويت ما يهدالو بال قا إلى رضاني
إذا سافر جابلي قاواش جيت توحشني ماي طبقش ينساني
ذا دلال اخوتي فيه تربيت بابا بيت العز فيها رباني
تتفكر في كل مضرب فيه مشبت ذا الساحات لجميع فيها مشاني
ياقلبي بركاك عني راك جنيت ولحي اموت حتى انت ثاني
والصلاة اعلى النبي بها تميت هو ساس اعليه ناصب بنياني
ذ عبد الغفار جاييكم من بيت والسكنة في بوسعادة عنواني²⁵

ترك موت والد الشاعر عبد الغفار فراغ كبير في نفسه فراح يعبر عن احساسه بالفاجعة محاولا تجسيد وقعها عليه بقصيدة عنوانها "وفاة الوالد في غياب ولده" يظهر فيا مستسلما لليأس، والعجز شعور قاتل لا يجعل للحياة معنى في غياب الأحبة وتتحول الدنيا إلى عالم موحش.

أما الشاعر الشعاني قدور بلخضر فقد نظم قصيدة طويلة بعنوان : عزى الفقراء في شيخهم نورد منها بعض الأبيات:

عظم الأجر على بكاكم يا الأخوان وعلى بالخصلة ديما
غيب قطب الدائرة مولى البرهان شيخ الفقراء بوعمامة
غيب قطب الدائرة معدن الأكوان نور وضي لكل ظلمة

الاسقم بالخصلة وعمارت الأوطان تبري به الي سقيمة
يا فتي خليك راني في الاحزان جرحي ما تبريه حكمة
وعلى شيخي بوعمامة غالي الشان قنطاس هدى وحرمة
*-تجليات الرثاء في المناسبات الاجتماعية

الممارسات التقليدية المرتبطة بالرثاء

يرتبط الرثاء في الثقافة الشعبية الجزائرية بعدة ممارسات تقليدية، من أبرزها:
*الندبات أو النواح التقليدي الذي تقوم به النساء
*الملاحم الشعرية التي تروي سير الفقيده ومناقبه
*الطقوس الدينية المصاحبة لمراسم العزاء
*الاجتماعات العائلية التي يتم فيها تبادل قصائد الرثاء.

إن الرثاء في الشعر الشعبي الجزائري يمثل نافذة حقيقية على وجدان الشعب الجزائري وتجاربهم مع الفقدان والألم، كما يشكل وثيقة تاريخية تسجل ردود أفعال المجتمع تجاه الأحداث المصيرية. ويبقى هذا اللون الأدبي شاهداً حياً على قدرة الإنسان الجزائري على تحويل الألم إلى جمال، والفقدان إلى إبداع، والمأساة إلى قصيدة تخلد في الذاكرة والوجدان.

7/ مفهوم الفخر خصائصه وأبعاده

*-مفهوم الفخر

• يمثل الفخر حالة وجدانية تتجسد في تمجيد الذات أو الجماعة، ويمتزج غالباً بالمديح والمواقف البطولية، خصوصاً في السياقات القبلية والوطنية²⁶
الفخر في الشعر الشعبي الجزائري يعبر عن اعتزاز الشاعر بأصالته، وطبيعة مجتمعه وثقافته، وقيم الشجاعة والبسالة، ويتجلى في الاحتفاء بالخصال الإيجابية والقيم الأخلاقية، والوحدة الوطنية والمقاومة، كما يعكس ارتباط الشاعر العميق بأرضه وتراثه في سياق بيئة متنوعة.

أوجه الفخر في الشعر الشعبي الجزائري:

• الفخر الذاتي والقبلي: يعتز الشاعر بقيمه الشخصية كالفضائل الأخلاقية والتفكير العميق، بالإضافة إلى فخره بقبيلته أو منطقته وأمجاده وخصاله المكتسبة من بيئتها.

يركز الشعراء الشعبيون على تمجيد أصولهم، ويمدحون الشجاعة، الكرم، والنسب، مستعينين بصور تُمجّد الأسلاف والأبطال

الاعتزاز بالأصالة الثقافية والدينية: يعكس الشعر الجزائري أصالة الشاعر وارتباطه بجذوره، ممّا يزرّ بالمعجم الديني والطبيعي الذي يبرز اعتزازه بثقافته وتقاليد.

- الفخر بالرجولة والبسالة: يتجلّى الفخر في احتفاء الشاعر بالشجاعة والقوة والفروسية، وهي قيم اكتسبها الأفراد والمجتمعات من قسوة الحياة والتحديات التي واجهوها.

- الفخر بالوطن والمقاومة: خاصة خلال الثورة التحريرية، لعب الشعر الشعبي دوراً مهماً في بث الحماس وغرس روح الصمود والتوعية بمصير الوطن، ممّا يعكس الفخر بالانتماء الوطني ومقاومة الاستعمار.

في سياقات النضال ضد الاستعمار، ظهر شعر فخري وطني، يُعلي من شأن المجاهد والشهيد، ويصوّر الوطن كقيمة مقدسة²⁷

- ارتباط الشاعر ببيئته: يعكس الشاعر الجزائري في شعره حبه واعتزازه بأرضه وطبيعته وثقافته، ممّا يجعله يعتز بأصالته ويسعى للحفاظ عليها

الصورة الشعرية في الفخر

- يُكثر الشعر الفخري من الرموز والصور المجازية، كتشبيه الفارس بالأسد، أو الوطن بالأُم، ويعتمد أساليب تقوية التأثير مثل التكرار والمبالغة.

الأبعاد الوجدانية للفخر:

- مدح الذات: هو نوع من مدح الذات وتأكيد القيم الإيجابية التي يمتلكها الشاعر أو قبيلته.

- إبراز الشجاعة والبطولة: يتمثل الفخر في الإشادة بالشجاعة والإقدام، خاصة في سياق المقاومة والنضال.

- تمجيد القيم: يعكس الفخر تمسك الشاعر بقيم أصيلة مثل الكرم والشرف والعدل.

الأبعاد الجمالية:

- تجسيد الهوية: يكشف عن هوية الشاعر وقيمه، ويعبر عن القوى المزدوجة لديه (الرجولية والأنثوية).

- انعكاس الصورة المرآوية: يوصف الفخر كأنه صورة الشاعر المنعكسة في المرأة، تعكس صفاته.
- استيعاب الثورة والنضال: يرتبط الفخر في الشعر الشعبي الثوري بالثورة الجزائرية ورفض الاستعمار، ليصبح وسيلة لرفض القوى الخارجية ورفعها

*- مظاهر الفخر في الشعر الشعبي الجزائري

الفخر الوطني والمقاومة

يُعد الفخر الوطني من أبرز مظاهر الفخر في الشعر الشعبي الجزائري، حيث يتغنى الشعراء بالوطن وأمجاده وتاريخه النضالي، ويعبرون عن حبه العميق للتراب الجزائري وتقديسهم لتضحيات الأجداد والآباء. ويتجلى هذا النوع من الفخر بشكل واضح في الشعر الذي قيل خلال ثورة التحرير الوطني (1954-1962)، حيث يمجّد الشعراء البطولات الخالدة للمجاهدين، ويصفون بطولاتهم في ساحات الوغى، ويشيدون بتضحياتهم في سبيل تحرير الوطن.

وقد تأثر هذا اللون من الفخر بالتراث العربي الإسلامي، حيث نجد في الشعر الشعبي الجزائري امتدادًا لقصائد الفخر والحماسة التي عرفها الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، لكن مع اختلاف المضامين والأهداف. فبينما كان الفخر في العصر الجاهلي يدور حول مفاخر القبيلة والأنفة والعزة، فإن الفخر في الشعر الشعبي الجزائري اتخذ طابعًا وطنيًا وقومياً، وارتبط بقضايا الأمة المصيرية والكفاح من أجل التحرر والاستقلال.

*- الفخر بالشهادة والتضحية

ارتبط الفخر بالشهادة في الشعر الشعبي الجزائري ارتباطاً وثيقاً بثقافة المقاومة والجهاد ضد المستعمر، حيث يمجّد الشعراء أولئك الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله والوطن، ويصورون الشهادة على أنها أسى غاية يتمناها المجاهد. وقد تجلّى هذا النوع من الفخر بشكل لافت في الشعر الذي رافق ثورة التحرير، حيث يصور الشعراء حب الشهادة كأعلى مرتبة يمكن أن يبلغها المجاهد، متأثرين في ذلك بالثقافة الإسلامية التي تمجّد الشهداء وتعدّهم أحياء عند ربهم يرزقون.

في هذا السياق، يمكن الاستشهاد بقول الشاعر الشعبي الذي يمجّد الشهادة في إحدى قصائده:

يا شهيد الوطن الغالي رفعناك على الأكف
 قدوة للأجيال من بعدك تشيد مجدها وتقف
 أنت نور في الدرب يهديننا وأنت العزم والموقف
 إن هذا النوع من الشعر كان يلعب دورًا تحريضيًا مهمًا في تشجيع الشباب على الانخراط في
 الثورة والتقدم إلى ساحات الشرف بقلوب مطمئنة وثابة، لا تخشى الموت ولا تهاب
 العدو، انطلاقًا من الإيمان بالله والثقة في نصره.

*-الفخر بالانتماء العربي الإسلامي

يبرز الفخر بالانتماء العربي الإسلامي كأحد الأبعاد الجوهرية في الشعر الشعبي الجزائري،
 حيث يؤكد الشعراء على هوية الجزائر العربية الإسلامية، ويربطون حاضرها بماضيها المجيد
 كجزء من العالم العربي والإسلامي. وقد شكل هذا البعد دافعًا وافيًا للهوية الوطنية في وجه
 محاولات الفرنسية والتغريب التي مارسها الاستعمار الفرنسي، حيث ظل الشعر الشعبي
 يحمل راية العربية والإسلام، ويربط بين النضال الوطني والقيم الإسلامية.
 في هذا الصدد، يقول شاعر جزائري شعبي:

نحن أبناء العرب والإسلام ديننا

ولنا المجد الرفيع من قديم

لا نبيع الأصل بالدنيء ونرفض

أن نكون العبيد للأعداء

لقد ساهم هذا النوع من الفخر في تعزيز الوحدة الوطنية وترسيخ الانتماء الحضاري
 للجزائر، خاصة في فترات المحن والتحديات التي حاولت النيل من هوية الشعب وثوابته. كما
 ساهم في بناء جسور التضامن مع الأمة العربية والإسلامية، حيث كان الشعراء يذكرون
 دائماً بأن قضية الجزائر هي قضية الأمة جمعاء، وأن نضالها جزء من النضال العربي
 الإسلامي العام.

*-الفخر بالصمود والثبات

يمثل الفخر بالصمود والثبات في وجه المحن والتحديات ملمحًا بارزًا من ملامح الشعر
 الشعبي الجزائري، حيث يتغنى الشعراء بقدرة الشعب الجزائري على تجاوز المحن والصعاب،
 والثبات في وجه المحتل رغم القهر والتعذيب والتشريد. وقد تجلّى هذا البطل بشكل واضح

خلال الثورة التحريرية، حيث يصور الشعراء صمود الشعب في وجه آلة القمع الاستعماري، وثباته على المبادئ رغم القسوة والعنف.

كما يتجلى هذا النوع من الفخر في التغني بطولات المرأة الجزائرية وصمودها أمام المحن، ودورها الفاعل في الثورة التحريرية، سواء كمقاتلة أو كأم شهيد أو كزوجة مجاهد. وقد خصص الشعراء قصائد كثيرة لتمجيد المرأة الجزائرية وتضحياتها، معبرين عن فخرهم واعتزازهم بتلك المرأة التي شاركت بفعالية في معركة التحرير، وساهمت في صنع المجد للوطن.

الجدول: أنواع الفخر في الشعر الشعبي الجزائري وأبرز تجلياتها

نوع الفخر	أبرز تجلياته	الفترة التاريخية
الفخر الوطني	التغني بالوطن والثورة والمجاهدين	فترة الاستعمار وما بعد الاستقلال
الفخر بالشهادة	تمجيد الشهداء وحب الاستشهاد	ثورة التحرير الوطني
الفخر بالانتماء	التأكيد على الهوية العربية الإسلامية	كل الفترات التاريخية
الفخر بالصمود	الثبات في وجه المحن والتحديات	فترات المحن والكفاح

يقول الشاعر ابن السايح الخثير في قصيدته "يَا وَطَنِي":
 نَاسُ الصَّخْرَاكِ تَهْدِرُ يَا هَدَارُ أَذْكَرُ دِيمَا بُوعَمَامَةُ وَأَعْوَانُهُ
 كَمْ مِنْ عَامٍ وَهُوَ يُكَافِّحُ دَارُودَارُ وَقَتْلُ مَنْهُمْ مَا قَتَلَ فِي مِيدَانَهُ²⁸

والشاعر في تمثلاته لشخصية الشيخ بوعمامة يحرص كل الحرص على ربط الشخصية بالرمز التاريخي الدال على العظمة والعزة ممتلئة بالنصر والفخر، فهو (الشاعر) يعيش في واقع يحتّم عليه التفاعل من حيث الأحداث؛ لأنه لسان الشعب الذي يعبر عن معاناته ويسرد الأزمات والمحن التي سببها الاستعمار، فالشاعر صادق يعكس هذه المعاناة في شعره،

بعد أن أحس بها ونطق بها وجدانه فتكون القصائد صادقة عاكسة لأحاسيسه ومعبرة عن نظراته الى الاستعمار، فهو بذلك جزء من هذه المعاناة.

وقد أورد عبد القادر خليفي شعرا كانت تتغنى به النسوة في تجمعاتهن بمنطقة القصور في الجنوب الغربي، أغاني شعبية التي تصور الشيخ بوعمامة بطلا لا يقهر يثير الرعب والهلع في صفوف الأعداء ويشتت شملهم:

الشيخ بوعمامة حرك تحريكين طيح مائتين
الشيخ بوعمامة حرك تحريكين نشهم كي الذبان
الشيخ بوعمامة باهراس القرون وبادمار العديان²⁹

اتسمت القصائد الشعبية بالبساطة واللغة العامية السهلة الميسرة، فيها تمجيد أبطال المقاومات كالأمير عبد القادر، والمقراني والحداد والشيخ بوعمامة، وكذا التعبير عن مآسي الشعب الجزائري، وانعكست فيها الروح الدينية والوطنية، وهي تقدم تصوراتها التاريخية للوطن. كما تتجلى البنية الشعورية من خلال الانفعالات المصاحبة لنص الفخر (كالاعتزاز، والتحدي، والمباهاة).

*- الخصائص الفنية لشعر الفخر الشعبي الجزائري

الخصائص اللغوية والأسلوبية

يتميز شعر الفخر الشعبي الجزائري بعدد من الخصائص اللغوية والأسلوبية التي تعكس خصوصيته وتمايزه عن الأنماط الشعرية الأخرى. من أبرز هذه الخصائص استخدام اللهجة العامية الجزائرية بمختلف تنوعاتها الجهوية، مع الاحتفاظ بعدد كبير من المفردات العربية الفصحى، مما يعكس الامتزاج الحضاري والثقافي للشعب الجزائري. كما يتميز باستخدام التراكيب السلسلة والسهلة التي تتناسب مع طبيعة الشعر الغنائي، وتجعله قريباً من وجدان العامة والخاصة على السواء.

كذلك يمتاز هذا الشعر باستخدام المحسنات البديعية بشكل عفوي غير متكلف، كالجناس والطباق والترديد، مما يضفي على القصائد جرساً موسيقياً مؤثراً. كما يتسم باستخدام الصور الشعرية المستمدة من البيئة المحلية والتراث الشعبي، مما يجعلها قريبة من إحساس المتلقي الجزائري، وقادرة على التأثير فيه بشكل كبير. ومن الخصائص الأسلوبية البارزة أيضاً استخدام الرمزية أحياناً للتعبير عن المواقف والمشاعر، خاصة في

فترات القمع والاضطهاد، حيث كان الشعراء يلجؤون إلى الرمز للتعبير عن أفكارهم دون التعرض للملاحقة.

البناء الفني والموضوعات

من الناحية الفنية، يتبع شعر الفخر الشعبي الجزائري في غالبيته النمط التقليدي في البناء، حيث يتكون من مقاطع شعرية (أبيات) متساوية في الوزن والقافية في كثير من الأحيان، كما يتميز بتنوع الأوزان والقوافي، مع ميل واضح إلى الإيقاعات السريعة والحماسية في قصائد الفخر والحماسة، بينما يميل إلى الإيقاعات الهادئة في قصائد الفخر الذاتي والوصف.

أما من حيث الموضوعات، فيتنوع شعر الفخر بين الفخر الوطني والفخر الديني والفخر الذاتي والفخر الاجتماعي. كما يتناول عدداً من القيم الإنسانية السامية كالكرم والشجاعة والوفاء والصبر والثبات في وجه المحن، مما يجعله مرآة تعكس القيم السائدة في المجتمع الجزائري عبر العصور. وقد تطورت هذه الموضوعات لتعكس التحولات الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الجزائر، من فترات الاستعمار إلى الاستقلال ومرحلة بناء الدولة الحديثة.

إن شعر الفخر الشعبي الجزائري يتمتع بجماهيرية واسعة في المجتمع الجزائري، حيث يحظى بإقبال كبير من مختلف الشرائح الاجتماعية، خاصة في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية. وقد عززت وسائل الإعلام من انتشار هذا الشعر، خاصة الإذاعة والتلفزيون، حيث تخصص حصصاً للشعر الشعبي، وتستضيف كبار الشعراء لتقديم إبداعاتهم. كما ساهمت المهرجانات والملتقيات الشعرية في مختلف مناطق الجزائر في التعريف بهذا التراث الأدبي الغني، وتشجيع الشعراء على مواصلة العطاء والإبداع.

لقد لعب هذا الشعر دوراً مهماً في صياغة الوعي الجمعي للشعب الجزائري، وترسيخ قيم الوطنية والانتماء، خاصة لدى الأجيال الناشئة. كما ساهم في الحفاظ على الذاكرة الوطنية، من خلال تسجيله لأهم الأحداث والمنعطفات التاريخية التي مرت بها الجزائر. ولا يزال هذا الشعر يحتفظ بمكانته الخاصة في القلب والوجدان الجزائري، رغم التحديات الكبيرة التي يطرحها العصر والعولمة والثورة الرقمية.

يمكن القول إن شعر الفخر في الشعر الشعبي الجزائري يشكل ظاهرة أدبية وثقافية بارزة، تجسدت من خلالها هوية الشعب الجزائري وروحه الوطنية، وتجليات ثقافته العربية

الإسلامية الأصيلة. وقد مثل هذا الشعر على الدوام سجلاً حافلاً لتاريخ الجزائر النضالي، ومعبراً صادقاً عن آمال الشعب وآلامه وتطلعاته نحو الحرية والكرامة والاستقلال. يشكل الشعر الشعبي الجزائري تراثاً أدبياً غنياً ومهماً، ظل لفترات طويلة مهمشاً رغم قيمته الفنية والتاريخية الكبيرة. ويمكننا أن نجمل ما يتميز به الشعر الشعبي الجزائري فيما يلي:

- العمق الوجداني والروحي الفريد.

- يشكل تراثاً ثقافياً غنياً يعكس هوية الشعب الجزائري

- يجمع بين الأصالة التقليدية والمعاصرة

- يمثل وثيقة تاريخية لتطور المشاعر والقيم

- يتميز شعر الفخر في الشعر الشعبي الجزائري بتنوع موضوعاته بين الفخر الوطني والديني والذاتي والاجتماعي، مما يعكس ثراء التجربة الإنسانية للشعب الجزائري.

- لعب الشعر الشعبي دوراً محورياً في المقاومة الثقافية ضد الاستعمار الفرنسي، حيث ساهم في الحفاظ على الهوية الوطنية واللغة العربية من محاولات الطمس والتذويب.

- يتمتع شعر الفخر الشعبي بخصائص فنية متميزة، من حيث اللغة والأسلوب والبناء، تجعله فريداً بين الأنماط الشعرية الأخرى، وقريباً من وجدان العامة والخاصة على السواء.

- لا يزال هذا الشعر يحتفظ بحيويته وتأثيره في المجتمع الجزائري المعاصر، رغم كل التحديات التي تطرحها التحولات الاجتماعية والثورة الرقمية.

مما يستدعي ضرورة الإسهام في الحفاظ على هذا التراث الأدبي الثمين وتطويره، من خلال:

* الاهتمام الأكاديمي بالشعر الشعبي الجزائري، من خلال إدراجه في المناهج التعليمية، وتشجيع البحث العلمي في خباياه وجوانبه المختلفة.

* العمل على توثيق الشعر الشعبي الجزائري بشتى الوسائل، من خلال إنشاء أرشيف وطني شامل يجمع القصائد والشعراء، ويحفظ هذا التراث من الضياع والنسيان.

* الاستفادة من التقنيات الحديثة في نشر الشعر الشعبي والتعريف به، من خلال إنشاء منصات رقمية متخصصة، وإنتاج أعمال فنية وإبداعية مستوحاة من هذا التراث.

* تشجيع التبادل الثقافي بين مختلف مناطق الجزائر، للتعريف بتنوع الشعر الشعبي وغناه، وتعزيز الوحدة الوطنية من خلال هذا التنوع الثقافي الثري.

إن الشعر الشعبي الجزائري، بصفة عامة، وشعر الفخر بصفة خاصة، يمثل كنزاً ثقافياً لا يقدر بثمن، وجسراً يربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الواعد، ونافذة تطل منها

الأجيال الجديدة على تاريخ أجدادها العريق، مما يستدعي المزيد من الاهتمام والرعاية للحفاظ على هذا الموروث الثقافي الغني وتطويره.

خاتمة

تكشف دراسة الرثاء والفخر في الشعر الشعبي الجزائري عن غنى وجداني وجمالي يعكس عمق الثقافة الشفوية الجزائرية، ويبرهن على قدرة هذا الشعر على التعبير عن التحولات الفردية والجماعية. كما يبيّن البحث أن هذا الشعر ليس مجرد تسلية أو سرد حكائي، بل خطاب عاطفي وفني يحمل دلالات اجتماعية ووطنية، تستحق التأمل والدراسة، مما يستدعي ضرورة:

- توثيق قصائد الرثاء والفخر في الشعر الشعبي للحفاظ على الموروث الشعبي .
- حضور الشعر الشعبي في المناهج التعليمية لنقله للأجيال القادمة
- إيلاء العناية في الدراسات الجامعية للشعر الشعبي بمختلف أغراضه
- استغلال التقنيات الحديثة في كل ما يخدم الحفاظ على الشعري الشعبي.

*-الهوامش والإحالات:

¹. أحمد قنشوبة، الشعر الغض: قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، دار الفارابي، لبنان، 2008، ص 12.

². ينظر: عبد الله دحية، تجليات الحس الوطني في الشعر الشعبي، مخطوط ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، كلية اللغات والآداب، 2004-2005، ص 106

³. أحمد قنشوبة، الشعر الغض، قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، ص 12.

⁴. ينظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الادب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981، ص 51.

⁵. ينظر: مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، ط 1، 2001، اسكندرية، مصر، ص 18-19.

⁶. ينظر: سلام رفعت، بحث عن التراث العربي، نظرة نقدية منهجية، ط 1، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، 1989، ص 200.

⁷. مجلة التراث الشعبي العراقية بغداد العدد 6 نيسان 1980، ص 182.

- ⁸. ينظر، د. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 81-82.
- ⁹. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، ص 81-82.
- ¹⁰. بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص 34.
- ¹¹. محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، دار ابن خلدون، تلمسان، 2001، ص 191.
- ¹². ينظر: جلول دواحي عبد القادر، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، مخطوط ماجستير، جامعة تلمسان، 2003/2002، ينظر: الملحق الشعري: قصيدة «ابقاوا بالسلامة».
- ¹³. د. عبد الحق زويوح، دراسات في الشعر الملحون الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008م، ص 72-73.
- ¹⁴. مجلة آمال، مجلة أدبية ثقافية تصدر عن وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، العدد 68/2000م.
- ¹⁵. ينظر: اشعار الهوى والغوى لمحمد بلخير، جمع وتقديم: بوعلام بسايح، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 3.
- ¹⁶. الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، د ط، 1979، من 220.
- ¹⁷. الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، حققه د. محمد محمد تامر وآخرون، د ط، دار الحديث القاهرة، بيروت، لبنان، 2009، ص 425.
- ¹⁸. بشرى محمد علي الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مدونة مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1977م، ص 29.
- ¹⁹. ينظر: الحاج مسعود، ز، الرثاء في الأدب الشعبي الجزائري، دراسة تحليلية، قسنطينة، منشورات جامعة منتوري، 2014.
- ²⁰. بوخريص، ف، بلاغة الرثاء في الشعر الشعبي المغاربي، دار المعارف، تونس، 2011.
- ²¹. زغيدي، ل. المقاومة في الشعر الشعبي الجزائري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1998.
- ²². تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة، دار الثقافة. 1998.
- ²³. علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ديوان مطبوعات الجامعة ب ط، بن عكنون، الجزائر، 2010، ص 34.

²⁴.المرجع نفسه، ص35.

²⁵.المرجع نفسه، ص42

²⁶. سالي، ع. الشعر الشعبي بين الفخر والمديح: دراسة موضوعاتية. منشورات المعهد الوطني للفنون.

2012.

²⁷. الطيب، ك. الشعر الشعبي في الثورة الجزائرية. الجزائر: دار الهدى. 2005.

²⁸..إبراهيم شعيب، الديوان المثير للشاعر ابن السايح الختير، مطبعة رويغي، الأغواط، ط1، 2006م، ص:

110.

²⁹. عبد القادر خليف، الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني

حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية (تبارت 13-14 أكتوبر 2002)

إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص134.

*- قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم شعيب، الديوان المثير للشاعر ابن السايح الختير، مطبعة رويغي،

الأغواط، ط1، 2006م.

2. أحمد قنشوبة، الشعر الغض: قراءات في الشعر الشعبي الجزائري، دار الفارابي،

لبنان، 2008.

3. أشعار الهوى والغوى لمحمد بلخير، جمع وتقديم: بوعلام بسايح، وزارة الثقافة،

الجزائر، 2007، ص3.

4. بشرى محمد علي الخطيب: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، مدونة مطبعة

الإدارة المحلية، بغداد، 1977.

5. بوخريص، ف، بلاغة الرثاء في الشعر الشعبي المغاربي، دار المعارف، تونس، 2011.

6. بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي،

الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.

7. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
8. تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة، دار الثقافة. 1998.
9. جلول دواجي عبد القادر، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، مخطوط ماجستير، جامعة تلمسان، 2002/2003.
10. الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، حققه د.محمد محمد تامر وآخرون، د ط، دار الحديث القاهرة، بيروت، لبنان، 2009.
11. الحاج مسعود، ز، الرثاء في الأدب الشعبي الجزائري، دراسة تحليلية، قسنطينة، منشورات جامعة منتوري، 2014.
12. زغيدي، ل. المقاومة في الشعر الشعبي الجزائري. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1998.
13. الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، د ط، 1979.
14. سالمي، ع. الشعر الشعبي بين الفخر والمديح: دراسة موضوعاتية. منشورات المعهد الوطني للفنون. 2012.
15. سلام رفعت، بحث عن التراث العربي، نظرة نقدية منهجية، ط1، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، 1989.
16. الطيب، ك. الشعر الشعبي في الثورة الجزائرية. الجزائر: دار الهدى. 2005.
17. عبد الحق زريوح، دراسات في الشعر الملحون الجزائري، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2008م.
18. عبد القادر خليفي، الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية (تيارت 13-14 أكتوبر 2002) إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

19. عبد الله دحية، تجليات الحس الوطني في الشعر الشعبي، مخطوط ماجستير في الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، كلية اللغات والآداب، 2004-2005.
20. علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ديوان مطبوعات الجامعة ب ط، بن عكنون، الجزائر، 2010.
21. مجلة آمال، مجلة أدبية ثقافية تصدر عن وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، العدد 2000/68م.
22. محمد بن الحاج الغوثي بخوشة، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، دار ابن خلدون، تلمسان، 2001.
23. مرسي الصباغ، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، ط1، 2001، اسكندرية، مصر.
24. نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الادب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.